شخصيات من الحرمين الشريفين(٤٧)
أُمُّ هـانـئ (٢)

محمد سليمان.[١]

سـيدة قرشـية هاشـمية ، فتحت عينيها في مكة ، في بيـت يُعدُّ من أرقـى بيوت قريش ، وفي بيئة علم وشـعر وأدب وشـجاعة وضيافة ، فتشـبعت بقيم هذا البيت ، وأعراف هذه البيئـة وآدابهـا حتـى غدت امرأةً جليلـةَ القدر ، قويّةً في شـخصيتها ، حكيمـةً في مواقفها ، رشـيدةً في آرائهـا .. ثـمَّ مسـلمة صحابيـة فاضلة فمهاجـرة ، لها مواقف خالـدة ، حظيت بمشـهور الأخبـار أن يكـون بيتهـا موضع انطلاقـة معجزة عظيمـة ، تحدّث عنهـا التنزيل العزيـز في الآية الأولى من سـورة الإسراء :

﴿سُـبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْـدِهِ لَيْـلاً مِّـنَ ٱلْمَسْـجِدِ ٱلْحَـرَامِ إِلَى ٱلْمَسْـجِدِ ٱلأَقْصَـا ٱلَّذِى بَارَكْنَـا حَـوْلَهُ لِنُرِيَـهُ مِـنْ آيَاتِنَـآ إِنَّهُ هُـوَ ٱلسَّـمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

لتخلُـد بخلودهـا، وتُذكـر كلما قُرئت السـورة مـع التدبّر والتأمـل في الآيـة المذكورة،

---

١. محققٌ و باحث ديني .

فلقد ارتبط اسم هذه السيدة وبيتها بهذه المعجزة؛ معجزة الإسراء، وهو ما عليه مصادر التاريخ والتفسير والحديث من أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أُسري به من بيتها على أصحّ الأقوال، وحظيت أيضاً باحترام وتقدير رسول الله صلى الله عليه وآله

فمَن هي هذه السيدة الصالحة التي اختصّت بذلك من دون النساء الصالحات والصحابيّات الجليلات على كثرتهنَّ ؟!

***

... أما عن إسلامها

فقد كانت أُمُّ هانئ على الحنيفية الإبراهيمية كأبيها أبي طالب بقية الأوصياء الإبراهيمين في مكة وسلالة إسماعيل عليه السلام، فهي منزّهة عن الشرك، خاصةً إذا ما صحّت شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله لها: «ما أشركت بالله طرفة عين»! الواردة في آخر رواية حذيفة اليماني.

قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً، وهو حامل الحسن والحسين عليهما السلام على عاتقه، فقال: هذان خير الناس أَباً وأُمًّا، أبوهما علي بن أبي طالب عليه السلام أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووزيره ووصيه وابن عمّه وخليفته من بعده، وسابق رجال العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، وأمّهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل نساء العالمين عليهنّ السلام. وهذان خير الناس جَدًّا وجدّةً، جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وجدّتهما خديجة عليها السلام أول من آمن بالله. وهذان خير الناس عمًّا وعمّةً، عمّهما جعفر الطيار في الجنّة، وعمّتهما أُمُّ هاني بنت أبي طالب، ما أشركت بالله طرفة عين![1]

وبعد البعثة النبويّة، وإن وقع اختلاف في وقت نطقها بالشهادتين، وأيضاً في هجرتها...، فهي تُعدّ صحابيّةً مهاجرةً على القول بأنها أسلمت وبايعت النبيَّ صلى الله عليه وآله في

١. شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، المتوفى سنة ٣٦٣ هـ ١: ١١٩ـ ١٢٠ .

مكـة المكرمـة، ووفّقـت للهجـرة إلى يثرب..

ذكـروا إسـلامها، وممـن ذكـره ابن حبيـب في كتابـه المحـبر في المبايعات من نسـاء بني هاشـم مـع أمّ هانئ نقـلاً عن الواقـدي، فيذكرهـنَّ تحت عنوان: أسـماء النسـوة المبايعات رسـول اللهﷺ من بنى هاشـم ذكـره الواقـدي (١ : ١٤٢).

أمّ هانئ بنت أبي طالب، واسمها فاختة. (جمانة) بنت أبي طالب...

... كـما ذكرهـا ابـن سـعد في طبقاتـه الكـبرى في المبايعـات في بنـات عمومـة رسـول الله ﷺ,[١]

عطاؤها من خيبر: وقدأعطاها النبيُّﷺ من خيبر ثلاثين وسقًا،...

فقد ذكر الواقدي من أعطاهم رسول اللهﷺ من خيبر بعد الغزوة، وتحت عنوان:

ذِكْرُ طُعْمِ النّبِيّﷺ فِي الْكَتِيبَةِ أَزْوَاجَهُ وَغَيْرَهُمْ:

أَطْعَمَ رَسُـولُ اللهﷺ كُلّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَـائِهِ ثَمانِينَ وَسْـقًا تَمْرًا وَعِشْـرِينَ وَسْـقًا شَـعِيرًا. وللعبـاس بـن عبـد المطّلـب مائتـي وسـق، ولفاطمـة وعـلىّ عَلَيْهِـمَا السّـلَامُ مِنْ الشّـعِيرِ وَالتّمْـرِ ثَلَاثُمِائَـةِ وَسْـقٍ، والشـعير من ذلك خمسـة وثمانين وَسْـقًا، لِفَاطِمَـةَ مِنْ ذَلِـكَ مِائَتَا وَسْـقٍ، وَلِأُسَـامَةَ بْـنِ زَيْدٍ...

هذَا مَا أَعْطَى مُحَمّدٌ رَسُولُ اللهِ

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

... وَلِصَفِيّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ أَرْبَعِينَ وَسْقًا،...

وَلِأُمّ هَانِـئٍ بِنْـتِ أَبِي طَالِبٍ أَرْبَعِينَ وَسْـقًا، ولِجُمَانَةَ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثِينَ وَسْـقًا، وَلِأُمّ طَالِـبٍ بِنْـتِ أَبِي طالـب ثلاثين وسـقًا،... وكذا قـال عنها كلٌّ من الزّبـير بن بكّار.

---

١. كتاب المحبر، محمد بن حبيب البغدادي: ٤٠٦، عن الواقدي ١ : ١٤٢.
الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ٨ : ٤٨.

هـي أخـت أمّ هانـئ، وذكرها ابن إسـحاق فيمن قسـم لـه النبيّ ﷺ مـن خيبر ثلاثين وسـقًا. وابـن سـعد :.. وأطعمها رسـول الله ﷺ من خيبر ثلاثين وسـقًا.[1]

ولم يكـن ليعطيهـا أو يطعمها من خيرات خيـبر إلّا وهي مسـلمة، وإلّا وهي مهاجرة، فهـذا ابـن عبـد البرّ كـما ذكرنـا أعـلاه، يقـول عـن أختهـا جُمانـة: ذكـر ابـن إسـحاق أنَّ النبـي ﷺ أعطاهـا مـن خيـبر ثلاثين وسـقًا، ولم يكـن ليعطيهـا إلّا وهي مسـلمة.

وهـو دليـل آخـر عـلى إسـلام أُمّ هـاني وهجرتهـا قبـل فتـح مكـة، فخيـبر فتحت في العـام السـابع هجـري، فيـما تـمَّ فتـح مكـة في العـام الثامـن هجـري. وليس ذلـك ببعيد عليهـا، فقـد ولـدت هـذه المـرأة الصالحة ونشـأت في بيـت أبي طالـب رضـوان الله عليه، البيـت المبـارك الذي انبثقـت منه النبوّة والرسـالة والإمامـة، وفي أحضـان أبوين صالحين أبي طالـب وفاطمـة بنـت أسـد، ومـع أخويين مؤمنين عـليّ وجعفـر، إضافةً إلى مـا لها من خصوصيـة بالنبـيِّ ﷺ معروفـة، فلعلّهـا مـن هـذا كلّه كانـت مسـلمة، بل مـن الأوائل، وخاصـةً إذا مـا نظرنـا إلى وقـ الإسراء، وأنـه وقـع قبل الهجـرة النبويـة المباركة، سـواء أكان قبـل السـنة العـاشرة من البعثة النبوية؛ في السـنة الثانيـة، أو في الثالثة، أو في الخامسـة .. أو بعـد العـاشرة ....، وإلى مـا نظرنـا إلى مكانـه، وأنَّ بدايتـه كانـت مـن بيتهـا، وهـو ما ذكرتـه أكثـر الأخبـار والأقـوال، ولعلّهـا رجحته على غـيره، وإذا مـا دققنا فيـما روته عن حديـث الإسراء:

«مـ أسري برسـول الله إلّا وهـو نائـم في بيتـي، فصلّى العشـاء الآخـرة، ثم نـام ونمنا، فلمّـا كان قبـل الصبـح، أهبّنا رسـول الله ﷺ، فلما صـلّى الصبح وصلينا معـه...».[2]

---

١. كتـاب المغـازي للواقـدي ٢ : غـزوة خيـبر ٦٩٣-٦٩٤ ؛ الإصابـة في تمييـز الصحابـة لابـن حجـر العسـقلاني ٨ : ٦٤ ؛ وذكرهـا ابـن سـعد في ترجمة أمِّهـا فاطمة بنت أسـد، وأفردها في بـاب بنات عمِّ النبيِّ ﷺ .

٢. الدر المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي ٤ : ١٤٩ ؛ اسدالغابة، ابن الأثير ٥ : ٥٤٤.

الطبري:.. وقد ذُكر لنا أنَّ النبيّ ﷺ كان ليلة أُسري به إلى المسجد الأقصى، كان نائماً في بيت أمّ هانئ ابنة أبي طالب. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثني محمد بن السائب، عن أبي صالح بن باذام عن أمّ هانىء بنت أبي طالب، في مسرى النبيّ ﷺ، أنها كانت تقول: ما أُسري برسول الله ﷺ إلّا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة، فصلّى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قُبَيل الفجر، أهبَّنا رسول الله ﷺ، فلما صلّى الصبح وصلينا معه قال:

«يا أُمَّ هانِىءٍ، لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمُ العِشاءَ الآخِرَةِ كَما رأيْتِ بهَذَا الوَادِي، ثُمَّ جِئْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاةَ الغَدَاةِ مَعَكُمُ الآنَ كَما تَرَيْنَ».[1]

فإذا ما دققنا في هذه الأخبار، لوجدنا أنَّها كنت ممن صلّى مع النبيِّ ﷺ:

«فلما صلّى الصبح وصلينا معه.. لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَكُمُ العِشاءَ الآخِرَةِ.. ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاةَ الغَدَاةِ مَعَكُمُ» .. فمعنى هذا أنَّها كانت مسلمةً قبل الهجرة المباركة، وفي ليلة الإسراء في أي عام وقعت، والمتفق أنَّها قبل الهجرة. ولعلّها كانت تكتم إسلامها، وتتحين فرصة الهجرة، ولم تجهر به إلّا في فتح مكة إن قبلنا بما في بعض الأخبار من أنَّها أسلمت في الفتح؛ لظروف خاصة بها، وليس هذا غريباً، وبالذات إذا ما عرفنا أنَّ زوجها هبيرة وكما يبدو من سيرته، بقي على كفره حتى هلاكه، وهو رجل عنيد لطالما ألّب الناس قبائل وأفراداً على رسول الله ﷺ ولم يكتفِ بهذا، بل شنَّ حرباً تلو أخرى على رسول الله ﷺ والمسلمين وهم في المدينة إما مقاتلاً كان فيها أو قائداً، وهو ما قد يجعل حياتها صعبة ثقيلة، وإن أشكل بأنها كيف جاز لها أن تبقى زوجةً له، دون أن يفرّق الإسلام بينهما، وكيف تركها رسول الله ﷺ وهو يعلم بإسلامها وكفر زوجها دون أن يفصل بينهما أو يعلمّها بحرمة العلاقة بينهما؟

---

١. جامع البيان، الطبري ١٥ : ٥ .

ولعلَّ ما يصلح جواباً عنه أنَّ حكم التفريق هذا ـ وإن وقع كلام بينهم في وقت تشريعه بين الزوجين عند إسلام أحدهما، أفي مكة وقع أم في المدينة؟ ـ قد شرع أو عمل به ـ والله أعلم ـ حين نزلت الآية العاشرة من سورة الممتحنة، وهي سورة مدنية، نزلت بعد صلح الحديبية في شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة، وقد تناولته السورة المذكورة عبر: ﴿... **لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ... وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ**﴾، في الآية العاشرة:

﴿**يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَاسْأَلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾.

﴿... **لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ**﴾، وهذا يدل على وقوع الفرقة بينهما...

﴿**وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ**﴾، أي لا تمسكوا بنكاح الكافرات، وأصل العصمة وسمي النكاح عصمة، لأنَّ المنكوحة تكون في حبال الزوج وعصمته...

قال الحسن: كان فى صدر الإسلام تكون المسلمة تحت الكافر، والكافرة تحت المسلم، فنسخت هذه الآية ذلك.

قال النخعي: هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر، وكان الكفار يزوّجون المسلمين، والمسلمون يتزوّجون المشركات، ثم نسخ ذلك بهذه الآية.

قال الزهري: ولما نزلت هذه الآية وفيها قوله: ﴿**وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ**﴾، طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة والأخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية أم عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم

رجل من قومه وهما على شركهما وكانت عند طلحة بن عبد الله أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة عند قومها كافرة ثم تزوجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن أمية وكانت ممن فرّت إلى رسو صلى الله عليه وآله من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالداً وأميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة ففرت منه وهو يومئذٍ كافر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فزوجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل.

قال الشعبي: وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت ولحقت بالنبيّ صلى الله عليه وآله في المدينة وأقام أبو العاص مشركاً بمكة ثم أتى المدينة فأمنته زينب ثم أسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وآله.[1]

القمّي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: يقول: «من كانت عنده امرأة كافرة يعني على غير ملّة الإسلام، وهو على ملّة الإسلام، فليعرض عليها الإسلام، فإن قبلت فهي امرأته، والّا فهي بريئة منه، فنهى الله أن يمسك بعصمتها».[2]

وحتى الآية: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.[3]

وقد استفيدت منها قاعدة (نفي السبيل) التي ذكروا لها موارد متعددة من أبواب الفقه، كان من بعض مواردها: ما «إذا أسلمت الزوجة دون الزوج، فيبطل النكاح حينئذ؛ لأنَّ الرجال قوامون على النساء، إذ بقاء الزوجية مع كفر الزوج يوجب علوّ الزوج الكافر على الزوجة المسلمة».

---

١. بحارالأنوار، العلامة لمسي ٢٠ : ٣٣٩ .

٢. انظر السيرة النبوية لابن هشام؛ تفسير جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري؛ التبيان للشيخ الطوسي؛ تفسير فتح القدير، الشوكاني؛ مجمع البيان للشيخ الطبرسي؛ تفسير البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسيني البحراني: الآية.

٣. سورة النساء: ١٤١ .

فـإنّ هـذه الآيـة وكـذا آيـة القوامـة: ﴿ٱلرِّجَـالُ قَوَّٰمُـونَ عَلَى ٱلنِّسَـآءِ بِمَا فَضَّـلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُـمْ عَلَىٰ بَعْـضٍ وَبِمَـآ أَنْفَقُواْ مِـنْ أَمْوَالِهِـمْ...﴾.[1]

قد نزلتا ضمن سورة النساء بعد الهجرة النبوية في المدينة المنورة.

هـذا ومـن المناسـب الإشـارة فقط إلى مـا تـسر لي مـن رواية أو قـول بخصوص هذه المسألة:

روي عـن عليّ بن الحسـين عليه السلام؛ أنّه سـئل عن هـذا (إيـمان أبي طالب) فقـال: «واعجباً إنّ الله تعـالى نهـى رسـوله أن يقـرّ مسـلمة عـلى نكاح كافـر، وقـد كانت فاطمة بنت أسـد مـن السـابقات إلى الإسـلام ولم تزل تحـت أبي طالب حتـى مات»!.[2]

عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه سئل عن أبي طالب أكان مؤمناً؟

فقال عليه السلام: نعم. فقيل له: إنّ هاهنا قوماً يزعمون أنّه كافر!

خـرج السـيد شـمس الديـن فخار أيضـاً في كتـاب (الحجـة: ٢٤) بأسـانيدهم عن أبي عـلي الموضـح قـال: تواتـرت الأخبار بهـذه الروايـة وبغيرها عـن علي بن الحسـين عليهما السلام أنه سـئل عن أبي طالـب أكان مؤمناً؟

فقال عليه السلام: نعم، فقيل له: إنَّ هاهنا قوماً يزعمون أنه كافر.

فقـال عليه السلام: واعجبـاً كلَّ العجب، أيطعنون عـلى أبي طالب أو على رسـول الله صلى الله عليه وآله، وقد نهـاه الله أن يقـر مؤمنـة مـع كافـر في غير آية مـن القـرآن؟ ولا يشـك أحـد أن فاطمة بنت أسـد عليها السلام من المؤمنات السـابقات، فإنها لم تزل تحت أبي طالب حتـى مات أبو طالب عليه السلام.[3]

وعـن عائشـة قالـت: كان الإسـلام قـد فـرق بـين زينـب وبـين أبـى العـاص حـين

---

١. سورة النساء: ٣٤.

٢. شرح نهج البلاغة ١٤: ٦٩.

٣. أبو طالب حامي الرسول وناصره، نجم الدين العسكري: ٢٠٦-٢٠٧.

أسلمت، إلّا أنَّ رسول الله ﷺ كان لا يقدر على أن يفرق بينهما، وكان رسول الله ﷺ مغلوباً بمكة. خرجه الدولابي.

وعنها:.. وكان الإسلام قد فرّق بين زينب وبين أبي العاص حين أسلمت إلّا أنّ رسول الله ﷺ كان لا يقدر أن يفرّق بينهما، وكان رسول الله ﷺ مغلوباً بمكّة، لا يحلّ ولا يحرم.[1]

قال ابن إسحاق:.. وكان رسول الله ﷺ لا يحلّ بمكة ولا يحرم، مغلوباً على أمره، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله ﷺ حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع، إلّا أنَّ رسول الله ﷺ كان لا يقدر [على] أن يفرق بينهما، فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه، حتى هاجر رسول الله ﷺ، فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص...[2]

هذا، وإني لم أجد فيما تيسر لي من مصادر ما يُشير إلى وقت إسلام أُمِّ هانئ أو يصرّح به غير العشرين من شهر رمضان من العام الثامن الهجري، فكان فيه الفتح الأعظم لمكة المكرمة.

ويعضد هذا ما روي عنها أنَّها من الطلقاء، وذلك بعد أن فرّق إسلامُها بينها في عام الفتح وبين زوجها الذي بقي على كفره، وبعد نزول الآية ٥٠ من سورة الأحزاب:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ٱللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ٱللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾.

أنَّها قالت: «خطبني رسول الله ﷺ، فاعتذرت إليه فعذرني، ثم أنزل الله هذه الآية ... فلم أحلّ له، لأني لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء».

---

١. ذخائر العقبى، أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤ هجرية) : ١٦٠ .

٢. السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٤٧٨ -٤٧٩ ؛ **البداية والنهاية لابن كثير ٣ : ٣٨٠** .

لما روي عنه من حديثه ﷺ في فتح مكة المكرمة: «معشر قريشٍ، ما ترون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: خيرًا، أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ! قال: فإني أقولُ لكم ما قال يوسفُ لإخوتِه: لا تثريبَ عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاءُ»![1]

فرار هبيرة:

لقد بقي هبيرة في مكة كأحد طغاة المشركين الذين ناوؤا رسول الله ﷺ وتصدوا لدعوته حتى وهو بعيد عنهم عبر حربهم له، وبمكرهم وأشعارهم، يقول عنه ابن سلام: فقاتل هبيرة المسلمين في وقعة بدر الكبرى قتالاً شديداً، حتّى انهارت قواه، فمرَّ به معاوية بن زهير حليف بني مخزوم وكان مشركاً فأعانه وقد أعيا هبيرة، فقام فألقى عنه درعه وحمله فمضى به. وكان عنيداً لم يتوقف عن تأليب قريش والقبائل ضدَّ رسول الله ﷺ استعداداً لمعركة أُخرى؛ لمعركة أُحد التي قاد فيها المشركين، وذكر ابن هشام لهبيرة في وقعة أُحد قصيدةً عنيفة من ثلاثة وعشرين بيتاً بدأها بذكر لوم عاذلته؛ لانشغاله عنها بالقتال:

ما بالُ همٍّ عميدٍ بات يطرقني ... بالودّ من هندٍ إذ تعدو عواديها

باتت تعاتبني هندٌ وتعذلني ... والحربُ قد شُغلت عنّي مواليها

مهلاً فلا تعذليني إنّ من خُلقي ... ما قد علمتِ وما إن لستُ أخفيها

* * *

إلى أن يقول مبيّنًا دوره في تأليب القبائل وتحشيدها:

سُقنا كنانة من أطراف ذي يمن ... عرض البلاد على ما كان يُزجيها

قالت كنانة أنّى تذهبون بنا؟ ... قلنا: النُّخيل فأمُّوها ومن فيها

* * *

١. الطبقات لابن سعد ٨ : ١٥١-١٥٣ .

فأجابه حسان بن ثابت، فقال:

سقتم كنانة جهلاً من سفاهتكم ... إلى الرسول فجند الله مخزيها

أوردتموها حياض الموت ضاحية ... فالنار موعدها، والقتل لا قيها

جمعتموها أحابيشاً بلا حسب ... أئمة الكفر غرتكم طواغيها

ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت ... أهل القليب ومن ألقينه فيها

كم من أسير فككناه بلا ثمن ... وجزِّ ناصية كنا مواليها

قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك.

قال عنه ابن سلام:

كان هبيرة بن أبي وهب شاعراً من رجال قريش المعدودين، وكان شديد العداوة لله ولرسوله، فأخمله الله ودحقه، وهو الذي يقول في يوم أُحد:

قدنا كنانة من ...

ويُقال إنَّه كان في وقعة الخندق من جملة من عبروه برفقة عمرو بن عبد وَدّ العامري، ولما قتل عمرو فرَّ هبيرة المخزومي، وراح يعتذر من فراره، ويبكي عمر بن عبد ودّ، ويذكر قتل عليٍّ عليه السلام له في قصيدة من عشرة أبيات، وفي مقطع من أربعة أبيات. يقول ابن إسحاق: وقال هبيرة بن أبي وهب يعتذر من فراره، ويبكي عمراً، ويذكر قتل عليٍّ عليه السلام إياه:

لعمري ما وليتُ ظهري محمداً ... وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل

ولكنني قلّبتُ أمرى فلم أجد ... لسيفي غَناءً إن ضربتُ ولا نبلي

* * *

فلا تبعدن يا عمرو حيًّا وهالكاً ... وحقّ لحسن المدح مثلك من مثلي

ولا تبعدن يا عمرو حيًّا وهالكاً ... قد بنت محمود الثنا ماجد الأصل

* * *

هنالك لو كان ابن عبد لزارها وفرجها حقًّا فتًى غير ما وغل
فعنك عليٌّ لا أرى مثل موقف وقفت على نجد المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك فخراً بمثله أمنت به ما عشت من زلة النعل

ورثاه مرّةً أُخرى وذكر قتل عليٍّ عليه السلام إياه:

لقد علمت عُليا لؤي بن غالب لفارسها عمرو إذا ناب نائب
لفارسها عمرو إذا ما يسومه عليٌّ وإنَّ الليث لا بدَّ طالب
عشية يدعوه عليٌّ وإنه لفارسها إذا خام عنه الكتائب
فيا لهف نفسي إنَّ عمراً تركته بيثرب لا زالت هناك المصائب.[1]

يريد بالنُّخيل، كزبير: مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وهي اسم لعين قرب المدينة..[2]

ولم يذكر أحدٌ أنَّ هبيرة أسلم، ففرّق الإسلام بينه وبين زوجته أُمِّ هاني، بل قالوا: إنَّه هرب يوم فتح مكة إلى نجران، فأما هبيرة فلم يرجع، أقام بها حتى مات كافراً، وأما الرجل الآخر الذي معه، فرجع فلم يعرض له. ويبدو أنَّ المقصود بالرجل الآخر هو عبد الله بن الزبعري.

لعمرك ما وليتُ ظهري محمداً وأصحابه جبناً ولا خيفةَ القتل
ولكنني قلبتُ أمرى فلم أجد لسيفي غناءً إن ضربتُ ولا نبلي
وقفتُ فلما خفتُ ضيقةَ موقفي رجعتُ لعودٍ كالهزبر إلى الشبل

---

١. انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٧٩ـ٨٠؛ كتاب المغازي، للواقدي: هبيرة؛ السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٨٧٦ـ٨٧٧ شعر هبيرة، ٣: ١٣٦ـ١٣٩، ٢٨٠ـ٢٨١.

٢. طبقات فحول الشعراء لابن سلام، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر رقم ٣٥٢. وفيه: قدنا كنانة من أكناف ذي يمن...

وعـن أبيـات الاعتـذار هـذه، قـال خلف الأحمـر: أبيـات هبـيرة في الاعتـذار خيرٌ من قـول الحـارث بـن هشـام)حين فـرَّ يوم بـدر(. يعنـى قوله:

وعلمـت أني إن أقاتـل واحـداً أُقتـل ولا يـضرر عـدوي مشـهدي

فصدفـت عنهـم والأحبـة فيهـم طمعـاً لهـم بعقـاب يـوم مرصـد

الله يعلـم مـا تركـتُ قتالهـم حتـى علـوا فـرسي بأشـقر مزبـد

أو

القـوم أعلـم مـا تركـت قتالهـم حتـى رمـوا فـرسي بأشـقر مزبـد

ووجـدت ريـح المـوت مـن تلقائهم في مـأزق والخيـل لم تتبـدد

فعلمـتُ أني إن أقاتـل واحـداً أقتـل ولا يـضرر عـدوي مشـهدي

فصـددت عنهـم والأحبـة فيهـم طمعاًلهم بعقاب يوم مفسد(أو مرصد)

وفي خبر أنَّه قال ذلك يرد على حسان بن ثابت حين عيره بالفرار بقوله:

إن كنـت كاذبـة الـذي حدثتنـي فنجـوت منجـى الحـارث بن هشـام

تـرك الأحبـة أن يقاتـل دونهـم ونجـا بـرأس طمـرَّة ولجـام

فيما قال الأصمعي: أحسن ما قيل في الاعتذار من الفرار قول الحارث بن هشام!

وذكروا أنَّ أقبح ما قيل في الاعتذار قول امرئ القيس:

ومـا جبنـت خيـلي ولكـن تذكـرت مرابطهـا مـن بربعيـص وميـسرا

عـن ابـن إسـحاق: أنَّ هبيرة أقام بنجـران، فلما بلغه إسـلام أمِّ هانئ وكانـت تحته، قال أبياتاً منها:

وعاذلـة هبـت بليـل تلومنـي وتعذلنـي بالليـل ضـلَّ ضلالُهـا

وتزعـم أنّـى إن أطعـتُ عشـيرتي سـأردى وهـل يردينـي إلّا زوالُهـا

و روى لـه محمـد بـن إسـحاق في كتـاب المغـازي شـعراً أولـه، يذكـر فيـه أمَّ هانـئ

وإسلامها و أنه مهاجر لها إذ صبت إلى الإسلام و من جملته:

أشاقتك هند أم أتاك سؤالها
كذاك النوى أسبابها وانفتالها
وقد أرقت في رأس حصن ممنع (أو ممرَّد)
بنجران يسري بعد ليل خيالها (أو بعد نوم خيالُها)
وعاذلة هبت بليل تلومني
تعذلني بالليل ضلَّ ضلالُها
وتزعم أني إن أطعت عشيرتي
سأردى وهل يردين إلا زيالُها
فإني لمن قوم إذا جدَّ جدُّهم
على أي حال أصبح اليوم حالها
وإني لحام (لأحمي) من وراء عشيرتي
إذا كان من تحت العوالي مجالها
وطارت بأيدي القوم بَيض كأنها
مخاريق ولدانٍ ينوس ظلالها

أو:

وصارت بأيديها السيوف كأنها مخاريق ولدان ومنها ظلالها
وإني لأقلى الحاسدين وفعلهم على الله نفسي رزقها وعيالها
وإنَّ كلام المرء في غير كنهه لكالنبل تهوي ليس فيها نصالها
فإن (لئن) كنت قد تابعت دينَ محمد وقطعت (وعطَّفت) الأرحام منك حبالها
فكوني على أعلى سحيق بهضبة ململمة غبراء يبس بلالها ! أو: قلالها.

المجيرة!

عرفت أُمُّ هانئ بالمجيرة، بعد أن وصفت بقوتها وحكمتها وحفظها للجوار، فقد كانت تجير الخائف، وتؤمن المروع، وتأوي إلى بيتها المستجير...

فالإجارة، لغةً من جارَ يُجير أجر إجارة فهو مُجير والمفعول مُجار.. فالإجارة تعود إلى الفعل أجار، وهي من المنعة وعدم الاعتداء، وبالتالي فأنت تعطي الأمان للمستجير من قبلك إذا ما أجرته وحفظته ومنعته.. وكانت الإجارة والاستجارة من عوائد العرب وأخلاقها التي يحترمونها أيما احترام، حتى مع من يرونهم أعداءً لهم، فهو مبدأٌ يقدرونه ولا يتجاوزون عليه، وإلّا كانوا موضع سخرية بين الناس وشجب، فلو أوذي المستجير في جوار أحدٍ كان هذا مسبةً للمجير وعاراً عليه...

وقد وردت في التنزيل العزيز في آيات عديدة، نختار من الآيات ما فيه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يُجير من استجاره أي أن يُعطي الأمان لمن استأمنه انطلاقاً من أنَّ الإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله إجارة لكلّ مستجير، ومن كونها خلقاً طيباً، ورسول الله صلى الله عليه وآله سيد الأخلاق ومكارمها، وحرصاً على هداية الآخر وفرصةً له، أو إكمالاً للحجّة عليه، كما في سورة التوبة التي نزلت بعد فتح مكة بسنوات:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾.[1]

جاءت هذه الآية، تطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقبل من يستجير به، وأن يعطيه الأمان... فلعلّه يتوب إلى الله تعالى!

الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذي أنزله الله عليه. ﴿**فَأَجِرْهُ**﴾، يقول: فأمنه، ﴿**حَتَّى يَسمعَ كلامِ اللهِ**﴾، وتتلوه عليه.

---

١. سورة التوبة: ٦.

﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾، يقول: ثم ردّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يسلم ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن إلى مأمنه، يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين. ﴿ذلكَ بأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾، يقول: تفعل ذلك بهم من إعطائك إياهم الأمان، ليسمعوا القرآن، وردّك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمنهم، من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا وما عليهم من الوزر والإثم بتركهم الإيمان بالله.

الطبرسي: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ﴾، معناه وإن طلب أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم منك الأمان من القتل.. فأمنه وبيّن له ما يريد وأمهله حتى يسمع كلام الله ويتدبَّره ..

وعن ابن جبير: جاء رجل إلى عليٍّ عليه السلام، فقال: إنْ أراد الرجل منا أنْ يأتي محمداً بعد انقضاء هذا الأجل ليسمع كلام الله، أو يأتيه لحاجة، قتل؟ قال: لا؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾، وما من قبيلة من قبائل العرب إلّا ولبني هاشم منّة عليها، ويدٌ بيضاء إليها، فقد كان العباس بن عبد المطلب عمُّ أُمِّ هانئ يمنع الجار حتى عُدَّ من مناقبه الجليلة...[1]

وبما أنَّ كلامنا عن أُمِّ هانئ وهي امرأة هاشمية، اتصفت بصفاتهم، فقد أجارت هي الأخرى رجلين من المشركين في فتح مكة بل «..آوت ناساً من بني مخزوم، ..»، كما في رواية الشيخ المفيد الآتية.

وقد جاءت أخبار عديدة عن ذلك، نكتفي ببعضها:

فعن ابن إسحاق أنه قال: وحدثني سعيد بن أبي هند، عن أبي مرة، مولى عقيل ابن أبي طالب: أنَّ أمَّ هانئ بنت أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بأعلى مكة، فرَّ إليَّ رجلان من أحمائي، من بنى مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي،

١. انظر مقالتنا عن العباس بن عبد المطلب في العدد ٥٤ ـ ٥٥ من هذه المجلة.

قالت: فدخل عليَّ علي بن أبي طالب أخي، فقال: والله، لأقتلنهما، فأغلقتُ عليهما باب بيتي، ثمَّ جئتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بأعلى مكة، فوجدتُه يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلّى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف إليَّ، فقال: «مرحباً وأهلاً يا أمَّ هانئ، ما جاء بك»؟ فأخبرتُه خبر الرجلين وخبر عليٍّ عليه السلام، فقال: «قد أجرنا من أجرت، وأمّنا من أمّنت، فلا يقتلهما».

قال ابن هشام: هما الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة.

ابن أبي الحديد: وروى أهل الحديث أنَّ أمَّ هانئ كانت يوم الفتح في بيتها، فدخل عليها هبيرة ابن أبي وهب بعلها، ورجل من بني عمّه! هاربين من عليٍّ عليه السلام، وهو يتبعهما وبيده السيف، فقامت أمُّ هانئ في وجهه دونهما، وقالت: ما تريده منهما، ولم تكن رأته من ثماني سنين، فدفع في صدرها، فلم تزل عن موضعها، وقالت: أتدخل يا عليّ بيتي، وتهتك حرمتي، وتقتل بعلي، ولا تستحي مني بعد ثماني سنين!

فقال عليه السلام: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أهدر دمهما، فلا بدَّ أن أقتلهما. فقبضت على يده التي فيها السيف، فدخلا بيتاً ثم خرجا منه إلى غيره، ففاتاه، وجاءت أمُّ هانئ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبها، فوقفت حتى أخذ ثوبه، فتوشح به، ثم صلّى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف، فقال: «مرحباً وأهلاً بأمّ هانئ! ما جاء بك»؟ فأخبرته خبر بعلها وابن عمّه، ودخول عليّ عليه السلام بيتها بالسيف.

فجاء عليٌّ عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله يضحك، فقال له: «ما صنعت بأمّ هانئ»؟

فقال عليه السلام: «سلها يا رسول الله ما صنعت بي! والذي بعثك بالحقّ، لقد قبضت على يدي وفيها السيف، فما استطعت أن أخلصها إلّا بعد لأي، وفاتني الرجلان».

فقال صلى الله عليه وآله: «لو ولد أبو طالب الناس كلّهم لكانوا شجعاناً، قد أجرنا من أجارت

أمُّ هانـئ، وأمّنـا من أمّنت، فلا سـبيل لـك عليها!

فأمـا هبـيرة فلـم يرجـع، وأمـا الرجـل الآخـر، فرجـع فلم يعـرض لـه. قالـوا: وأقام هبـيرة بـن أبي وهـب بنجـران حتـى مـات بها كافـراً..

وقد روى المفيد هذه الحادثة، بما نصّه:

عهـد رسـول اللهﷺ إلى المسـلمين عند توجهه إلى مكة أن لا يقتلوا بهـا، إلّا من قاتلهم، وآمن من تعلق بأسـتار الكعبة سـوى نفر كانـوا يؤذونه...

فقتـل أمـير المؤمنينعليه السلام الحويـرث بن نفيل بن كعـب، وكان ممن يؤذي رسـول اللهﷺ بمكـة، وبلغـهعليه السلام أنَّ أختـه أمَّ هانـئ قـد آوت أناسـاً مـن بنـي مخـزوم منهـم الحـارث بن هشـام وقيس بن السـائب.

فقصـدعليه السلام نحـو دارهـا مقنّعاً بالحديـد، فقـال: أخرجوا مـن آويتم، فجعلـوا يذرقون والله كـما تـذرق الحبـارى خوفـاً منـه، فخرجت إليـه أمُّ هانئ، وهـي لا تعرفـه، فقالت: يا عبـد الله أنـا أمُّ هانئ ابنة عمِّ رسـول الله، وأخت عـلي بن أبي طالب، انصـرف عن داري!

فنـزع أمير المؤمنـينعليه السلام المغفرَ وقـال: أخرجوهم، فعرفتـه والتزمته، وقالـت: فديتك، حلفت لأشـكونك إلى رسول الله!

فقال لهاعليه السلام: «اذهبي فأبري قسمك، فإنه بأعلى الوادي».

فأتـت النبـيَّﷺ وهـو في قبـة يغتسـل، فلـما رآهـا النبـيُّﷺ قـال: «مرحبـاً بـأمِّ هانئ وأهـلاً... لقـد أجرنـا مـن أجـرت، وأمنـا مـن أمنـت، فـلا يقتلهما».

ثم قالﷺ لها: «لا تغضبي عليًّا فإنَّ الله يغضب لغضبه»!

وقالﷺ لعليٍّ: «أغلبتك»؟

فقال عليٌّعليه السلام: يا رسول الله ما قدرت أن أرفع قدمي من الأرض!

فضحك النبيُّﷺ وقال:

«لو أنَّ أبا طالب ولد الناس كلّهم؛ لكانوا شجعاناً»!

وعـن ابـن أبي الحديـد: ... و روى أهل الحديـث أنَّ أمَّ هانئ كانت يـوم الفتح في بيتها، فدخـل عليهـا هبيرة بـن أبي وهـب بعلها ورجل مـن بني عمّـه هاربين من عـليٍّ عليه السلام و هو يتبعهـما و بيده السـيف، فقامـت أمُّ هانئ في وجهـه دونهما، و قالت: مـا تريده منهما؟!

و لم تكـن رأتـه مـن ثماني سـنين، فدفـع في صدرهـا، فلم تزل عـن موضعهـا، وقالت: أتدخـل يـا عـليُّ بيتي، و تهتـك حرمتي و تقتل بعلي، و لا تسـتحيي مني بعد ثماني سـنين؟!

فقـال عليه السلام: «إنَّ رسـول الله صلى الله عليه وآله أهـدر دمهـما، فلا بـد أن أقتلهما، فقبضت عـلى يده التي فيها السـيف، فدخـلا بيتاً ثم خرجـا منه إلى غـيره ففاتاه!

و جـاءت أمُّ هانـئ إلى رسـول الله صلى الله عليه وآله فوجدتـه يغتسـل مـن جفنـة فيهـا أثـر العجين، وفاطمـة ابنتـه تسـتره بثوبهـا، فوقفت حتـى أخذ ثوبه، فتوشـح بـه ثم صلّى ثـماني ركعات مـن الضحـى، ثم انـصرف، فقـال: «مرحبـاً و أهلاً بـأمِّ هانـئ، ما جـاء بك»؟!

فأخبرتـه خـبر بعلهـا و ابـن عمّـه، و دخـول عـليٍّ عليه السلام بيتهـا بالسـيف، فجـاء علي عليه السلام ورسـول الله صلى الله عليه وآله يضحـك، فقـال لـه: «مـا صنعـت بـأمِّ هانـئ»؟!

فقـال عليه السلام: «سـلها يا رسـول الله ما صنعـت بي؟! والذي بعثك بالحـقِّ لقد قبضت على يدي وفيها السـيف، فما اسـتطعت أن أخلصها إلّا بعـد لأي، و فاتني الرجلان»!

فقـال صلى الله عليه وآله: «لـو ولـد أبو طالـب الناس كلهم لكانـوا شـجعاناً! قد أجرنا مـن أجارت أمُّ هانـئ، و أمنـا من أمنت! فلا سـبيل لـك عليهما»!

هـذا وصـارت إجـارة أُمِّ هانـئ لمـن أجـارت دليلاً فقهيًّـا على صحـة أو جـواز إجارة المـرأة لمن لجـأ إليها..

وتعالـوا معـي لنـرى تكريـماً لهـذه المـرأة الصالحـة مـن قبـل رسـول الله صلى الله عليه وآله مـا أجمله، ولطفـاً مـا أروعـه، ومـودّةً مـا أجلّهـا، واسـتجابةً لرجائهـا مـا أسرعه..

وهنـا أيضـاً لا تفوتني الإشـارة إلى ما ذكره الشـيخ الكرباسي في معجمـه أنصار الإمام

الحسين عليه السلام (الهاشميون)، الجزء الأول؛ تحت رقم ٥: «أنَّ أُمَّ هانئ، أُمّها أُمُّ ولد، كانت على قيد الحياة بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام»، ثمَّ يحيل القارئ إلى كتاب المعارف: ٢٠١ وسفير الإمام الحسين عليه السلام: ٣٣. وقطعاً أنَّ المذكورة ليست أُمَّ هانئ بنت أبي طالب.

نجد هذا فيما تحدّثت به، كما جاء عن ابن عباس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على أمِّ هانئ بنت أبي طالب يوم الفتح، وكان جائعاً، فقلت له: يا رسول الله، إنَّ أصهاراً لي قد لجئوا إليَّ، وإنَّ علي بن أبي طالب لا تأخذه في الله لومةُ لائم، وأني أخاف أن يعلم بهم فيقتلهم، فاجعل من دخل دار أمِّ هانئ آمناً حتى يسمعوا كلام الله!

فآمنهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «قد أجرنا من أجارت أُمُّ هانئ».

وقال: هل عندك من طعام نأكله؟

فقالت: ليس عندي إلّا كسر يابسة، و إني لأستحي أن أقدمها إليك.

فقال: هلمّي بهنّ، فكسّرهنّ في ماء.

و جاءت بملح، فقال: «هل من إدام»؟

فقالت: ما عندي يا رسو الله إلّا شيء من خلٍّ.

فقال: «هلميه»، فصبّيه على الطعام، فأكل منه، ثم حمد الله، ثم قال: «نعم الإدام الخلّ يا أمَّ هانئ لا يفقر بيت فيه خلّ»!

إذن؛ نالت صفة المجيرة، وحظيت بها على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله لما قَبِلَ صلى الله عليه وآله إجارتها، حين جاءته تشفع في بعض أحمائها، أو بعد أن أجار من أجارته من المشركين يوم الفتح، حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «قد أجرنا من أجرت، وأمَّنَّا من أمَّنت»!

وقد دلّت هذه الحادثة المتمثلة بقبول رسول الله صلى الله عليه وآله إجارتها لعدد من المشركين على ما تحظى به هذه السيدة من مقام كريم ومنزلة عظيمة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسمو مكانتها عنده حتى لقبت بـ(المُجيرة)، وغدت يومذاك أُمُّ هانئ تعرف بهذا اللقب!

وكيف لا يكون لها ذلك، وهي ابنة سيد البطحاء أبي طالب عليه السلام، وابنة عمِّ سيد

الأنبياء والمرسلين، وأخت سيد الأوصياء والمتقين، إضافةً إلى كونها تتمتع بالشجاعة والحكمة والعقل...[1]

موقفها مع الإمام علي عليه السلام :

ظلّت السيدة أُمُّ هانئ طيلة حياتها قريبةً من أخيها الإمام عليّ عليه السلام، ولم يذكر أحد أَنَّها ابتعدت عن أمير المؤمنين عليه السلام، ونتيجة ذلك بقيت مؤازرةً له وللحقّ الذي هو عليه..، فما إن انتهت وقعة الجمل في البصرة بانتصار أمير المؤمنين عليه السلام وجنده على طائفة الناكثين، بعث برسالة إلى أُختـه أُمّ هانئ كما ذكر الشيخ المفيد في كتابه الجمل: وكتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أمِّ هاني بنت أبي طالب عليها السلام، يقول:

«سلام عليكِ، أحمد إليكِ الله الذي لا إلـ إلّا هو، أما بعدُ؛ فإنا التقينا مع البغاة والظلمة في البصرة، فأعطانا اللهُ تعالى النصرَ عليهم بحوله وقوته، وأعطاهم سُنّة الظالمين، فقُتل منهم طلحة والزبير وعبدالرحمن بن عَتاب وجمع لا يُحصى. وقُتل منّا بنومخدوع وابنا صوحان وعَلباء وهند وثمامة فيمن يُعدُّ من المسلمين رحمهم الله والسلام».

فيما ذكر الطبري من قبل الشيخ المفيد ما يُشبه موضوع هذه الرسالة مع اختلاف في فقراتها، ولكنها موجهة إلى عامله بالكوفة:

«مَا كَتَبَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مِنَ الْفَتْحِ إِلَى عَامِلِهِ بِالْكُوفَةِ»: كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ، قَالا: وَكَتَبَ عَلِيٌّ بِالْفَتْحِ إِلَى عَامِلِهِ بِالْكُوفَةِ حِينَ كَتَبَ فِي أَمْرِهَا، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ:

«مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا الْتَقَيْنَا فِي النِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ

---

١. جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري؛ مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)؛ كتاب الإرشاد للشيخ المفيد ١: ١٣٦ـ١٣٨؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٠: ٧٨ نسب جعدة بن هبيرة؛ السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٥٣ـ٥٤؛ مجمع الزوائد، الهيثمي ٦: ١٧٥ـ١٧٦.

بِالْخُرَيْبَةِ ـ فِنَاءٌ مِنْ أَفْنِيَةِ الْبَصْرَةِ ـ فَأَعْطَاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ مِنَّا وَمِنْهُمْ قَتْلَى كَثِيرَةً، وَأُصِيبَ مِمَّنْ أُصِيبَ مِنَّا ثُمَامَةُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَهِنْدُ بْنُ عَمْرٍو، وَعِلْبَاءُ بْنُ الْهَيْثَمِ، وَسَيْحَانُ وَزَيْدٌ ابْنَا صُوحَانَ، وَمَحْدُوجٌ».

وروى الفضل بن شاذان الأزدي في كتاب الإيضاح بسنده عن عبدالله بن الحارث قال: سمعتُ أمّ هاني بنت أبي طالب تقول: لقد علم من جرت عليه المواسي من أصحاب رسول اللهﷺ أنَّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان النبيِّ الأميّ، وقد خاب من افترى.

قال ابن الأثير في النهاية: في حديث عمر: كتب أن يقتلوا من جرت عليه المواسي أي من نبتت عانته؛ لأنَّ المواسي إنما تجري على من أنبت، أراد من بلغ الحلم من الكفار.[1]

وما إن انتهى الإمامعليه السلام من حرب صفين حتى بعثها وابنها جعدة إلى خراسان كما عن الشعبي قال: بعث عليٌّعليه السلام بعدما رجع من صفين جعدة بن هبيرة المخزومي وأُمّ جعدة أُمّ هاني بنت أبي طالب إلى خراسان، فانتهى إلى أبرشهر، وقد كفروا وامتنعوا، فقدم على عليّعليه السلام، فبعث خليد بن قرة اليربوعي، فحاصر أهل نيسابور حتى صالحوه وصالحه أهل مرو.[2]

عطاؤها من بيت المال:

أخرج الشيخ المفيد حديثاً طويلاً؛ مما جاء فيه:

«.. وقال (الإمام عليّعليه السلام): أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة، ثمَّ ترك

١. كتاب الجمل للشيخ المفيد: ٣٩٧؛ تاريخ الطبري ٤: ٥٤٢؛ كتاب الإيضاح، الفضل بن شاذان الأزدي: ٨٣ ـ ٨٤؛ كتاب أنوار اليقين، الحسن بن بدرالدين، الجزء الثاني؛ النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤: ٣٧٢.

٢. تاريخ الطبري ٣: ١٢٥ أحداث سنة ٣٧.

التفضيل لنفسه وولده على أحد من أهل الإسلام، دخلت عليه أخته أمُّ هاني بنت أبي طالب، فدفع إليها عشرين درهماً، فسألت أمُّ هاني مولاتها العجمية، فقالت: كم دفع إليك أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقالت: عشرين درهماً.

فانصرفت مسخطة.

فقال لها: انصرفي رحمك الله ما وجدنا في كتاب الله فضلاً لإسماعيل على إسحاق.[1]

أقوال بعض علماء الرجال:

عدّها الشيخ الطوسي من الصحابة، وممن روى عن النبيّ عليه السلام: أُمُّ هانئ بنت أبي طالب، واسمها فاختة.

قال الشيخ المامقاني في تنقيح المقال: وجلالة شأنها وعلوّ مقامها غير خفي على الخبير بالآثار والسيّر، ويكفيك منها ما في خبر سليمان بن مهران الأعمش، المروي في كتب الخاصة والعامّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «ألا أدلكم على خير الناس عمًّا وعمّةً...»، فإنّ فيه دلالة على ما فوق الثقة والعدالة كما لا يخفى.

أقول: ذكرنا أعلاه رواية حذيفة اليماني، قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً، وهو حامل الحسن والحسين على عاتقه، فقال: «هذان خير الناس أباً وأُمًّا، أبوهما علي بن أبي طالب أخو رسول الله صلى الله عليه وآله و وزيره و وصيه و ابن عمّه و خليفته من بعده، وسابق رجال العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، وأمّهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل نساء العالمين.

وهذان خير الناس جدًّا وجدّةً، جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله وجدّتهما خديجة أول من آمن بالله. وهذان خير الناس عمًّا وعمّةً، عمّهما جعفر الطيار في الجنّة، وعمّتهما أُمُّ هاني بنت أبي طالب، ما أشركت بالله طرفة عين»!

---

١. كتاب الاختصاص للشيخ المفيد: ١٥١.

معجم رجال الحديث: ١٥٦٢٤، أمّ هاني بنت أبي طالب، اسمها فاختة، من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، رجال الشيخ.

وعدّها البرقي، ممن روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وقال: أمّ هاني بنت أبي طالب زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله.

أقول: نقل السيد الخوئي قول البرقي: زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله. وهو أمر لم يقل به أحدٌ![1]

بعض ما روته:

ذكروا أنَّ أُمَّ هانئ روت ستًّا وأربعين حديثاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله وروي عنها جمع من الصحابة والتابعين ...

يقول الذهبي: روت أحاديث حدّث عنها حفيدها جعدة، ومولاها أبو صالح باذام، وكريب مولى ابن عباس وعبد الرحمن بن أبي ليلى ومجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وعروة بن الزبير وآخرون.

يبدو أنَّ لها حفيداً كما ذكر الذهبي يحمل نفس اسم ابنها جعدة (حدّث عنها حفيدها جعدة)، وإلّا فالذهبي يذكر أنَّ هبيرة أولدها: عمرو بن هبيرة، وجعدة، وهانئاً، ويوسف.

تفسير الطبري: عن أبي صالح، عن أمّ هانىء، قالت: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى: ﴿**وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ**﴾. قال: كانُوا يَخْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، فهو المنكر الذي كانوا يأتون.

«أو» كانُوا يَجْلِسُونَ بالطَّرِيقِ، فَيَخْذِفُونَ أَبْناءَ السَّبِيلِ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ومنها أنَّ

---

١. باب من روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله من الصحابة،٤٤٢، رجال الطوسي: ٥٢؛ تنقيح المقال للشيخ المامقاني ٣: ٧٤؛ شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، المتوفى سنة ٣٦٣ هـ ١: ١١٩ـ١٢٠؛ معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ٢٤: ٢٠٧ـ٢٠٨، رقم ١٥٦٢٤، أمّ هانئ بنت أبي طالب.

النَّبِيّ صلّى ثماني ركعات غداة الفتح في بيتها.

وروي أنَّ النبيَّ انتبه من نومة في بيت أمِّ هانئ فزعاً، فسألته عن ذلك، فقال: يا أمَّ هانئ إنَّ الله عزَّ وجلَّ عرض عليَّ في منامي القيامة وأهوالها، والجنة ونعيمها، والنار ومافيها وعذابها.

ولها مع رسول الله أنَّها قالت: جلس رسول الله عام الفتح، وجلست فاطمة عليها السلام على يساره، فأتته الوليدة بشراب فشرب، ثمَّ ناولني فشربت. فقلتُ: يارسول الله! إني كنتُ صائمة، فكرهتُ أن أردّ سؤرك!

فقال: «إن كنت تقضين يوماً مكانه، وإن كان تطوعاً، فإن شئت فاقضي وإن شئت فلا تقضي».

وفي خبر قريب منه، قالت: كنت قاعدة عند النبيّ فأتي بشراب فشرب منه، ثم ناولني فشربت منه، فقلت: إني أذنبتُ فاستغفر لي، فقال: «وما ذاك»؟

قالت: كنتُ صائمة فأفطرت.

فقال: «أمن قضاء كنتِ تقضينه»؟

قالت: لا.

قال: «فلا يضرّك».

ابن ماجة: عَنْ أُمِّ هَانِئٍ قَالَتْ: أَتَيْتُ إِلَى رَسُولِ الله فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، دُلَّنِى عَلَى عَمَلٍ فَإِنِّى قَدْ كَبِرْتُ وَضَعُفْتُ وَبَدَّنْتُ.

فَقَالَ: «كَبِّرِى اللهَ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَاحْمَدِى اللهَ مِائَةَ مَرَّةٍ، وَسَبِّحِى اللهَ مِائَةَ مَرَّةٍ خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ مُلْجَمٍ مُسْرَجٍ فِى سَبِيلِ الله، وَخَيْرٌ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ، وَخَيْرٌ مِنْ مِائَةِ رَقَبَةٍ».

ولطالما كان رسول الله يأوي إلى دارها، فقد آوى إلى دارها قبل هجرته، وروت أول هجرته إلى يثرب، حيث روي عنها، قالت: لما أمر الله تعالى نبيَّه بالهجرة،

وأنام عليًّا عليه السلام على فراشه، وسجاه ببرد حضرمي، ثم خرج، فإذا وجوه قريش على بابه، فأخذ حفنة من تراب، فذرها على رؤوسهم، فلم يشعر به أحد منهم، ودخل على بيتي، فلما أصبح، أقبل عليَّ وقال:

«أبشري يا أمّ هانئ، فهذا جبرئيل عليه السلام يخبرني: أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أنجى عليًّا عليه السلام من عدوه».

قالت: وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله مع جناح الصبح إلى غار ثور، فكان فيه ثلاثاً حتى سكن عنه الطلب، ثمَّ أرسل إلى عليٍّ عليه السلام، وأمره بأمره وأداء الأمانة!

القندوزي: وأخرج البزار في مسنده عن أُمِّ هانئ بنت أبي طالب، قالت: رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجته حتى نزل بغدير خم، ثم قام خطيباً بالهاجرة، فقال:

«أيها الناس، إني أُوشك أن أُدعى فأجيب، وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً؛ كتاب الله حبل طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، وعترتي أهل بيتي، ألا إنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»!

وقد ذكرها العلّامة المجلسي في عداد جمع من النسوة اللواتي روين حديث الغدير حيث قال:

... وهذه أسماء من روى عنهم حديث يوم الغدير ونصّ النبيّ على عليٍّ عليهما الصلاة والسلام والتحية والإكرام بالخلافة، وإظهار ذلك عند الكافة، ومنهم هنّأ بذلك، ... فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، عائشة بنت أبي بكر، أمّ سلمة أمّ المؤمنين، أمّ هانئ بنت أبي طالب، فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، أسماء بنت عميس الخثعمية.

أخرج الطبراني في الكبير عن عبدالرحمن بن أبي رافع، عن أمِّ هاني بنت أبي طالب عليها السلام أنها قالت:

يا رسول الله، إنَّ عمر بن الخطاب لقيني، فقال لي: إنَّ محمداً لا يغني عنك شيئاً.

فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقام خطيباً، فقال:

مـا بال أقوام يزعمون أنَّ شـفاعتي لا تنـال أهل بيتي، وأنَّ شـفاعتي لتنال حاء وحكم (وهمـا قبيلتان في اليمن بعيدتا النسـب من قريش)؟!

وفي خـبر آخـر أنَّ الـكلام كان مع صفية عمّة رسـول الله صلى الله عليه وآله ـ التـي خصصنا لها مقالة للعـدد القادم مـن هذه المجلة إن شـاء الله تعالى ـ.

إذ تـوفي لعمّتـه صفيـة ولد فعزاهـا صلى الله عليه وآله، فلما خرجـت لقيها رجـل، فقال لهـا: إنَّ قرابة محمـد لـن تغنـي عنـك شـيئاً. فبكت حتى سـمع رسـول الله صلى الله عليه وآله صوتهـا ففزع مـن ذلك، فخـرج إليها فسـألها فأخبرته فغضـب فقال:

يا بلال هجر بالصلاة، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

مـا بال أقوام يزعمون أنَّ قرابتي لا تنفع، إنَّ كلَّ سـبب ونسـب منقطع يـوم القيامة إلّا سـببي ونسـبي، وإنَّ رحمي موصولة في الدنيا والآخرة؟!

وفاتها :

اختلـف في وقـت وفاتهـا رضـوان الله عليهـ ولم يُحـدّد؛ فيُقـال: إنَّهـا توفيـت في حياة رسـول الله صلى الله عليه وآله، قال به ابن شـهر آشـوب، وقيـل: تُوفيت بعـد الأربعين هجريـة. ودفنت في البقيـع .. وذكـرت بعـض المصادر أنَّها عاشـت إلى مـا بعد عليّ عليه السلام، وهو قـول الترمذي وغـيره، وآخـر قـال: عاشـت أُمُّ هانـئ إلى بعد سـنة خمسـين، وهو مـا ذهب إليـه الذهبي. فيـما قـال ابن حجر العسـقلاني: ماتـت في خلافـة معاوية.[1]

وهنـاك قـول بحضورهـا يـوم عاشـوراء واقعة الطـف في كربلاء سـنة واحد وسـتين هجريـة يوم استشـهاد الإمام الحسـين عليه السلام وأهـل بيته وأنصـاره رضوان الله عليهـم. وأنَّها كانـت واحـدة من سـبايا تلـك الواقعـة، فكانت في ركـب الإمام السـجاد عليه السلام حـين أُخذ

---

١. أسـد الغابـة ٧ : ٥٠ ؛ الإصابـة في تمييـز الصحابـة ٨ : ٦٤ ؛ مناقب ابن شـهر آشـوب ١ : ١١٠ ؛ سـير أعـلام النبـلاء للذهبـي، أُمُّ هانـئ ؛ تقريب التهذيب لابـن حجر العسـقلاني، رقـم ٨٧٧٨ ، أُمّ هانئ .

هـذا الركـب إلى الشـام، وعـاد إلى المدينـة، وأنَّهـا توفيت بعد تلك السـنة أي بعد سـنة ٦١ هجريـة، ودفنـت في البقيع.

بـل هنـاك كلام في أنَّ كلاً مـن الأُختـين، أُمّ هانئ وجُمانة كانتا برفقة الإمام الحسـين عليه السلام مـع مـن كان مـن الهاشـميين، وشـاركتا في نصرتـه عليه السلام، أو أنَّ أُمَّ هـاني ودّعته لمـا عزم على الرحيـل مـن المدينـة إلى مكـة فكربـلاء، وأنَّ جُمانـة واصلت الرحلـة معه حتى استشـهاده وكانت مع السـبايا..

أقـول: فلعـلَّ هـذا وقع لتشـابه في الأسـماء، فقـد تكون التـي حضرت واقعـة كربلاء هـي أُمُّ هـاني بنـت عـلي الهاشـميّة. فالشـيخ الطريحي يقـول: ثـمَّ إنَّ اللعين أمـر باحضار السـبايا، فاحـضروا بـين يديـه، فلـما حـضروا عنـده، جعل ينظـر إليهن ويسـأل مـن هذه ومـن هـذا؟ فقيل: هـذه أُمّ كلثوم الكـبرى، وهذه أُمّ كلثـوم الصغرى، وهـذه صفية وهذه أُمّ هانـئ، وهـذه رقية بنات عـليٍّ عليه السلام...[1]

وأيضـاً هنـاك بنـت للإمـام عـليٍّ عليه السلام اسـمها جُمانـة، فهـي واحـدة مـن بناتـه عليه السلام، كما ذكرهـنَّ ابـن قتيبـة في المعـارف ١ : ٢١٠-٢١١.

ولكـن الشـيخ الكربـاسي يقـول: عاشـ جُمانـة حتـى شـاهدت معركـة الطـف بـأُمَّ عينيهـا، واستشـهد ابنهـا عبـد الله في تلـك المعركـة الأليمـة، ورجعـت مـع ركـب الإمام زيـن العابديـن عليه السلام إلى المدينـة. وكانـت أُختهـا أُمّ هانـئ (فاختـة) قـد حضـرت خـروج الحسـين عليه السلام إلى العـراق، إلّا أنّهـا لم تسـمع خـبر استشـهاده حيـث توفيـت في نهايـة عـام ٦٠هجريـة. ويظهـر أنَّ جُمانـة توفيـت بعـد عـام ٦١ هجرية حيـث انقطع خبرهـا ... ولم تفـارق أخاهـا أمـير المؤمنـين عليه السلام ومـن بعـده ابناه الحسـن والحسـين عليهما السلام.

والعجيـب من الشـيخ وهو يذكـر هذا في الصفحـة ٢٢٦ إلّا أنه لم يوثـق كلامه بدليل، فيـما يطالـب الشـيخ المازنـدراني بعد صفحـة أي في الصفحـة ٢٢٧ بالدليل عـلى قوله عن

١. كتاب المنتخب للطريحي المتوفى (١٠٨٥ هجرية)٤٧٢ـ٤٧٣، السبايا في مجلس يزيد. المجلس العاشر.

جمانـة بنـت عـليّ الهاشـمية، حينما خالف ابن شـهر آشـوب الـذي عدَّهـا متوفيـةً في زمن أبيهـا. ففي قـول: إنَّها توفيـت قبل عـام ٤٠ هجرية.

فيقـول:.. ولكـن المازنـدراني ذكرها في معاليه في عداد من حضـرن كربـلاء... ولكنه لم يوثـق كلامـه بدليـل، وبعد تصريح ابن شـهر آشـوب المعتمد في نقلـه، لا يمكن الركون إلى مـا ورد في المعـالي، ومـن هنـا فقد أعرضنـا عنها، كما أنهـا ليس لها ذكر في كتـب التاريخ والسيرة.

وكـذا كان للمازنـدراني كلام عـن أُمّ هـاني بنـت أبي طالـب لم يُوثّقـه هو الآخـر بدليل كـما يأتي.

ثـمَّ إنَّ الشـيخ الكربـاسي يصف ابن شـهر آشـوب بأنه «المعتمـد في نقله» وهـا هو ابن شـهر آشـوب يقول: ومـات قبل النبـيِّ صلى الله عليه وآله، خديجـة، وأمّ هاني، وزينب بنـت خزيمة.

فإن كان يقصد أمَّ هانئ بنت أبي طالب، فهو إذن يذهب إلى وفاتها في حياة النبيِّ صلى الله عليه وآله.

فيـما الشـيخ الكربـاسي يُخالف ابن شـهر آشـوب بقولـه عـن أمّ هانـئ :.. قد حضرت خـروج الحسـين عليه السلام إلى العـراق.. ثـمَّ قـال بوفاتهـا في المدينة نهاية عـام ٦٠ هجريـة، وقال عنهـا أيضـاً: حيـث كان لهـا ذكر عند خـروج الحسـين عليه السلام إلى العـراق، وقد أنشـأت بيتين مـن الشـعر، راجع ديـوان القـرن الأول، ١: ١٤٦. وأما بعد رجوع أهل بيت الحسـين عليه السلام إلى المدينـة، لم نجد لهـا ذكراً...

أقول: وقد راجعتُ هذا الديوان وفيه بيتان من الطويل:

مـا أُمُّ هـاني وحدهـا سـاء حالهـا خـروج حسـين عـن مدينـة جـدّه

ولكنـما القـبر الشريـف ومـن بـه ومنـبره يبكـون مـن أجـل فقـده

وإني لأعجـب مـن الشـيخ أن يقـول: وقـد أنشـأت بيتيـن مـن الشـعر، راجـع ديوان القـرن الأول ١: ١٤٦.

البيتـان لفاختـه (أمّ هانـئ) بنـت أبي طالـب (القـرن الأول) قالتهـا عندما عـادت من

توديع ابن أخيها الحسين عليه السلام بالمدينة حين أراد تركها.[1] وليس هناك بحسب ما تيسر لي من يذكر ذلك، إلّا صاحب معالي السبطين ١: ٢١٤ـ ٢١٥، (ت ١٣٨٤ هجرية)، أي وفاته قبل ٥٩ سنة تقريباً، وكما ذكر الشيخ نفسه في الهامش: معالي السبطين ١: ٢١٤، فيستدلّ بما ذكره الشيخ المازندراني في معاليه.

فأي قرن أول هذا؟!

ثمَّ إنَّ القول: «كان لها ذكر عند خروج الحسين عليه السلام إلى العراق...»، بمعنى أنها شاركت في توديع الإمام الحسين عليه السلام لما أراد الرحلة من المدينة إلى مكة فكربلاء، وهذا المعنى كما يبدو آتٍ من قول مضاف من قبل الشيخ المازندراني لِما ورد عن البحار عن كامل الزيارات لابن قولويه في قصة توديعه عليه السلام، ولم يذكرا أُمَّ هاني، نعم ورد ذكر (وأقبلت بعض عمّاته تبكي).

فبعد أن ينقل الشيخ المازندراني في كتابه معالي السبطين ما ذكره العلّامة المجلسي عن كامل الزيارة: «كامل الزيارة: أبي وجماعة مشايخي، عن سعد، عن محمد بن يحيى المعاذي، عن الحسن بن موسى الأصم، عن عمرو، عن جابر، عن محمد بن علي عليهما السلام، قال: لما همَّ الحسين عليه السلام بالشخوص إلى المدينة، أقبلت نساء بني عبدالمطلب، فاجتمعن للنياحة حتى مشى فيهن الحسين عليه السلام، فقال:

أنشدكن الله، أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله.

قالت له نساء بني عبد المطلب: فلمن نستبقي النياحة والبكاء، فهو عندنا كيوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة ورقية وزينب وأمّ كلثوم، فننشدك الله جعلنا الله فداك من الموت، فيا حبيب الأبرار من أهل القبور، وأقبلت بعض عمّاته تبكي، وتقول:

أشهد يا حسين لقد سمعت الجنَّ ناحت بنوحك، وهم يقولون:

---

١. معجم أنصار الحسين (الهاشميون) ١: ٤٢ والهامش ٣؛ معالي السبطين ١: ٢١٤؛ ديوان القرن الأول ١: ١٤٦.

وإنَّ قتيل الطف من آل هاشم أذلّ رقاباً من قريش فذلت

حبيب رسول الله لم يك فاحشاً أبانت مصيبتك الأنوف وجلّت

وقلن أيضاً:

بكوا حسيناً سيداً ولقتله شاب الشعر

ولقتله زلزلتم ولقتله انكسف القمر

واحمرت آفاق السماء من العشية والسحر

وتغيرت شمس البلاد بهم وأظلمت الكور

ذاك ابن فاطمة المصاب به الخلائق والبشر

أورثتنا ذلاً به جدع الأنوف مع الغرر

انتهى ما ذكره العلامة المجلسي عن كامل الزيارات أو الزيارة.

يعقّبه الشيخ المازندراني بكلام لم يسنده إلى دليل (وحتى رأيتُ بعضهم ينقله وكأنّه تابع لكلام ابن قولويه، ولم يكلف نفسه مراجعة ما قاله ابن قولويه)، فيقول: ثمّ إنَّ نساء بني هاشم أقبلن إلى أمِّ هاني عمّة الحسين عليه السلام وقلن لها: يا أمَّ هاني أنت جالسة والحسين عليه السلام مع عياله عازم على الخروج؟!

فأقبلت أمُّ هاني فلما رآها الحسين عليه السلام قال: أما هذه عمّتي أمّ هاني؟

قيل: نعم.

فقال: يا عمّه! ما الذي جاء بك وأنت على هذه الحالة؟

فقالت: وكيف لا آتي، وقد بلغني أنَّ كفيل الأرامل ذاهب عني، ثمَّ إنها انتحبت باكية، وتمثلت بأبيات أبيها أبي طالب عليه السلام:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

ثم قالت: سيدي! وأنا متطيرة عليك من هذا المسير؛ لهاتف سمعت البارحة يقول:

وإنَّ قتيل الطف من آل هاشم ... أذلَّ رقاباً من قريش فذلت

حبيب رسول الله لم يك فاحشاً ... أبانت مصيبته الأنوف وجلّت

فقال لها الحسين عليه السلام:

«يا عمّه! لا تقولي من قريش، ولكن قولي: أذلَّ رقاب المسلمين فذلت،

ثمَّ قال: يا عمّه! كلّ الذي مقدر فهو كائن لا محالة».

وقال عليه السلام: «وما هم بقوم يغلبون ابن غالب ولكن بعلم الغيب قد قدر الأمر»، فخرجت أمُّ هاني من عنده باكية، وهي تقول:

وما أمّ هاني وحدها ساء حالها ... خروج حسين عن مدينة جدّه

ولكنما القبر الشريف ومن به ... ومنبره يبكون من أجل فقده.[1]

*** وإنَّ قتيل الطف من آل هاشم ... أذلَّ رقاباً من قريش مذلت**

وأُبدل هذا البيت :

وإنَّ قتيل الطف من آل هاشم ... أذلَّ رقاب المسلمين فذلت!

كان هذا البيت صدراً لقصيدة تائية تُعدُّ من أقدم المراثي لسيد الشهداء الحسين عليه السلام للشاعر سليمان بن قتة العدوي (المتوفى سنة ١٢٦ هجرية، من المنقطعين إلى بني هاشم كما وصفه المبرد المتوفى: ٢٨٥هـ)، في كتابه الكامل في اللغة والأدب. يُقال: إنَّ سليمان قالها عند زيارته للإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده.

وبعض أبياتها تتداخل بأبيات لأبي الرميح الخزاعي، لا أدري فلعلّ سليمان بن قتة

---

١. انظر بحار الأنوار للعلامة المجلسي ٤٥ : ٨٨ عن كامل الزيارة أو الزيارات للشيخ ابن قولويه؛ معالي السبطين، محمد مهدي الحائري المازندراني (ت ١٣٨٤ هجرية)١ : ٢١٤ـ٢١٥ المجلس الثاني من الفصل الرابع.

سمع بذلك البيت، فافتتح به قصيدته الرثائية لما زار الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاده بثلاث، أو لتوارد الأفكار، أو...!![1]

يقول الشيخ الكرباسي بعد عبارته أعلاه: وأما ما ورد في ذلك: «خرجت أمُّ لقمان بنت عقيل حاسرةً ومعها أترابها وأمُّ هاني ورملة وأسماء»، فإنَّ أبا مخنف أضاف كلمة بنات عليٍّ عليه السلام مما رفع الشك كونها أمَّ هانئ بنت أبي طالب. راجع باب السيرة أحداث عام ٦١ هجرية».

ثمَّ يقول: وهذا يدحض ما قيل بأنها توفيت في عصر الرسول صلى الله عليه وآله كما في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١: ١١٠ أو ما قيل بأنها توفيت في عصر معاوية كما في تقريب التهذيب لابن حجر: ٦٢٠.

ولا أدري أي القولين يدحض ما قاله كلّ من ابن شهر آشوب وابن حجر ..؟

اللهم إلّا أن يقصد ـ بعد أن فنّد القول الثاني بما ذكره عن أبي مخنف ـ مجموع ما ذكره من أنّها: قد حضرت خروج الحسين عليه السلام إلى العراق .. ثمَّ قال بوفاتها في المدينة نهاية عام ٦٠ هجرية.

أقول: ثمَّ إنَّ بقاءها لحين وفاتها بعد الطف، يجعل عمرها أكثر من مئة عام، ولم يقل بهذا أحدٌ من مؤرخي التاريخ، ولم يكن عمراً متعارفاً في بني هاشم على الأقل، وأمُّ هانئ لا يخفى ذكرها مع هذا العمر الطويل، ... لكن الشيخ الكرباسي لم يستبعد ذلك بقوله: «حيث كان لها ذكر عند خروج الحسين عليه السلام إلى العراق، وقد أنشأت بيتين من الشعر، راجع ديوان القرن الأول ١: ١٤٦. وأما بعد رجوع أهل بيت الحسين عليه السلام إلى المدينة، لم نجد لها ذكراً...».

ثمّ يقول: «وعليه فإنّها تجاوزت المئة إذا صدق الاحتمال بأنَّ ولادتها كانت في ٤٨

---

١. انظر الكامل ١: ١٠٦؛ أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ٧: ٣٠٨ رقم ١٠٥٠؛ مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١٢١؛ وغيرها.

قبل الهجرة، وهذا ليس ببعيد، حيث هناك من كانوا في عصرها».

جاء قوله هذا آخر الهامش (٣) من الصفحة ٤٢ من معجمه، والتي يقول فيها:

«وهاجرت إلى المدينة، وتوفيت بها في نهاية عام ٦٠ هجرية». ثمّ يذكر في الهامش: «حيث كان لها ذكر عند خروج الحسين عليه السلام إلى العراق،...».[١]

أقول: وكلّها لم يأتِ بدليل عليها سوى قوله: «وهذا ليس ببعيد، حيث هناك من كانوا في عصرها»!

ثمَّ إنَّ بقاءها لحين وفاتها بعد الطف يجعل عمرها أكثر من مئة عام، ولم يقل بهذا أحدٌ. ولم يكن عمراً معروفاً في بني هاشم... وإن لم يستبعد الشيخ الكرباسي ذلك بقوله: «وعليه فإنها تجاوزت المئة إذا صدق الاحتمال بأنَّ ولادتها كانت في ٤٨ قبل الهجرة، وهذا ليس ببعيد، حيث هناك من كانوا في عصرها». جاء قوله هذا آخر الهامش (٣) من الصفحة ٤٢ من معجمه، والتي يقول فيها: وكذا ورد ذكرها في كتاب الشيخ المازندراني شجرة طوبى:.. وكفى في فضلها ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما بين فضائل الحسن والحسين عليهما السلام: «ألا أخبركم بخير الناس عمًّا وعمَّة فهما الحسنان عمّهما جعفر الطيار وعمّتها فاخته أمُّ هاني بنت أبي طالب».. ثمَّ يقول: وبقيت أمُّ هاني إلى أن عزم الحسين عليه السلام على الخروج من المدينة، أقبلت إليه، فلما رآها الحسين عليه السلام قال: أما هذه عمّتي أمّ هاني؟!

قيل: بلى؛ قال عليه السلام: «يا عمّة ما الذي جاء بك، وأنت على هذه الحالة»؟!

قالت: وكيف لا أتي وقد بلغني أنَّ كفيل الأرامل ذاهب عني...

وفي كتاب ثمرات الأعواد: لما بلغ خبر الحسين عليه السلام إلى الهاشميات ونساء بني عبد المطلب صرن يأتين إلى دار الحسين عليه السلام وينحن ويبكن .. وأقبلن عدّة من

١. معجم أنصار الحسين ـ الهاشميّون ـ الجزء الأول، دائرة المعارف الحسينية، محمد صادق محمد الكرباسي :٤١ ـ ٤٢، والهامش: ٣ .

الهاشـميات إلى عمّـة الحسـين «أُمّ هـاني»، فأخبرنهـا الخـبر، وكانـت أُمُّ هانـئ من النسـاء الجليـلات القـدر العظيـمات الشـأن ...

وهـذا لا يخلـو مـن كلام، ويكفي أنَّ صاحب كتاب معالي السـبطين هـو من نقل الخبر دون أن يذكـر أي مصـدر تاريخي أو روائي اسـتقى منه ما يطرحه!

وبهـذا الصـدد قد يكون من المناسـب هنـا أن أنقل كلاماً للشـهيد القـاضي الطباطبائي حـول معالي السـبطين يقول فيه: «ولا يمكن ـ بأيّ حال مـن الأحوال ـ الوثوق بمنقولات معـالي السـبطين، إلّا في حال ذكـر فيها المصادر التـي نقل عنها. ولا يمكـن تصنيفه ضمن المصـادر المعتـبرة، ومن ثـمّ لا يمكن النقل عنـه. وقـد كان لي صلة بمؤلّفـه المرحوم الحاج محمـد المازنـدراني، وكنّـا نتواصـل فيـما بيننـا، وقد جمـع في كتابه الغـث والسـمين مما يحتم عـلى القـارئ الوقوف عنـده والفصل بين صحيحه وسـقيمه.[1]

ومـع الأسـف أقولهـا بمرارة هنـاك كتب في السـاحة تخلو مـن الدقّة العلمية، وترسـل بعـض الأخبـار بلا مصدر وكـذا بعض أقوالها بلا دليـل، اضطررتُ لذكر هـذه الملاحظة، فلعلّهـا تنفـع وتُنبّـه القـارئ والمسـتمع العزيـز أنَّ علينـا جميعاً عـدم تبني أي خـبر أو قول خـالٍ مـن الدليـل، وأن نتوخّي الصحيح ونتبـع الدليل!

وأكتفـي أيضـاً بإحالـة القـارئ لمـا ذكره الشـيخ المحمدي الـري شـهري في الصحيح مـن مقتـل سـيد الشـهداء وأصحابـه عليهم السلام ١: ٣٠ ـ ٤٣، تحت عنـوان: «ثانيـاً: المصادر غير الصالحة للاعتـماد ...».

المصادر:

١. بحار الأنوار، للعلامة لمجلسي.

٢. مدينة المعاجز، للسيد هاشم البحراني.

١. دراسة الأربعين الأولى لسيّد الشهداء عليه السلام: ٣٨٢.

٣. أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين.
٤. كتاب الحسين عليه السلام، للمقرم.
٥. دائرة المعارف الحسينية، معجم أنصار الحسين (النساء)، محمد صادق محمد الكرباسي، المركز الحسيني للدراسات لندن، المملكة المتحدة.
٦. مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب.
٧. معالي السبطين، للشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني (ت ١٣٨٤ هجرية).
٨. شجرة طوبى، للشيخ محمد مهدي الحائري.
٩. ثمرات الأعواد، للسيد علي بن الحسين الهامشي النجفي الخطيب.
١٠. الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه عليهم السلام، للشيخ الري شهري.

***

«تعريف بكتاب»

طريـق الحجّ الأحسائي(٢)

إدارة التحرير

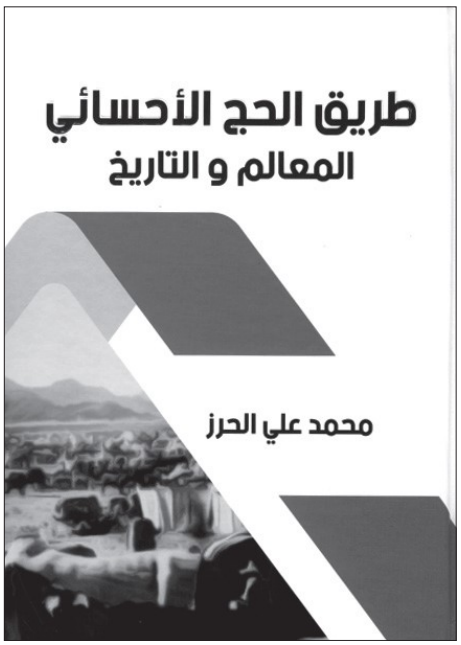

نظـراً لمنهـج مجلة «ميقـات الحجّ»، وعنايتهـا بالشـؤون الثقافية والتاريخية والسياسـية والاجتماعيـة للحـجّ ودائرتـه المباركـة...، فتحـت بابهـا لا فقط لاسـتقبال مـا يتفضل به